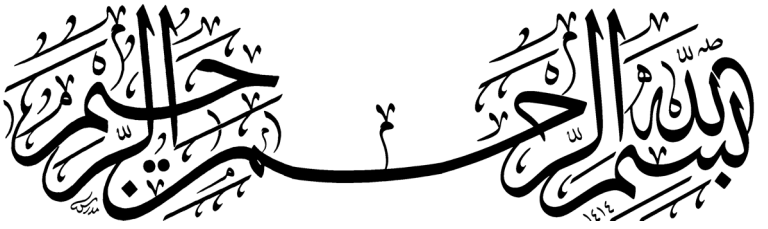
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٤٤

خطاب اللُّغة والدَّلالة في كتاب "مفاتيح الأصول"

للسَّيِّد محمّد الطَّباطبائيّ المعروف بالسَّيِّد المجاهد قُدِّسَ سِرُّهُ

(ت ١٢٤٢هـ)

قراءة في جدل الأدلَّة وأسسها المعرفيَّة التَّكوينيَّة

أ.د. عِماد جبَّار كاظم داود

جامعة واسط ـ كُلِّيَّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
المكتبة ودار المخطوطات
مركز الشيخ الطوسي قدس سره للدراسات والتحقيق

البحث: خطاب اللُّغة والدَّلالة في كتاب "مفاتيح الأصول"

الباحث: أ.د. عِماد جبَّار كاظم داود.

بلد الباحث: العراق - واسط.

مراجعة: مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره للدّراسات والتّحقيق.

الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

الإخراج الفني: حيدر جعفر ثامر الجابريّ.

الطبعة: الأولى.

التاريخ: ٦/صفر/١٤٤٣هـ - ٢٠٢١/٩/١٤م

كلمة اللّجنتين العلميّة والتحضيريّة

للمؤتمر العلميّ الدوليّ الأوّل (السيّد المجاهد وتراثه العلميّ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللّهمّ يا مَن شرّعت لنا فيض (مناهل) آلائك، وفتحت مغالق أبواب السماء (بمفاتيح) الرحمة من أوليائك، وشرّعت لنا خاتمةَ الشرائع بسيّد أنبيائك، وأفضل صلواتك وأتمّ تحيّاتك على صفوة الخلق أصفيائك، محمّدٍ وأهل بيته خيرتك ونجبائك، الذين جعلتهم سادة أمنائك و(المصابيح) لهداية عبادك ، وأقربَ (الوسائل) لنيل مثوبتك وعطائك، وجعلت (إصلاح العمل) وقبول الأعمال بولايتهم وولائك، واللعنة الدائمة على أعدائهم أعدائك.

وبعد، فقد زخرت سماء العلم والمعرفة في تاريخ الشيعة بنجومٍ لامعة، يهتدي بسناها الضالّون، ويقتدي بهداها المسترشدون، حملوا راية الحقّ ومشعل الهداية، وصدّوا عن الجهل والغواية.

وكانوا كما ورد في الحديث عن الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام، أنّه قال: قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليهما السلام: «**عُلَمَاءُ شِيعَتِنَا مُرَابِطُونَ فِي الثَّغْرِ الَّذِي يَلِي إِبْلِيسُ وَعَفَارِيتُهُ، يَمْنَعُونَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا، وَعَنْ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَشِيعَتُهُ النَّوَاصِبُ. أَلَا فَمَنِ انْتَصَبَ لِذَلِكَ مِنْ شِيعَتِنَا كَانَ أَفْضَلَ مِمَّنْ جَاهَدَ الرُّومَ وَالتُّرْكَ وَالْخَزَرَ أَلْفَ أَلْفِ مَرَّةٍ؛ لِأَنَّهُ يَدْفَعُ عَنْ أَدْيَانِ مُحِبِّينَا،**

وَذَلِكَ يَدْفَعُ عَنْ أَبْدَانِهِمْ»[1].

فبلّغوا معارف أهل البيت عليهم السلام السامية، وأوصلوا كلمتهم كلمة الحقّ العالية، وبثّوا علومهم الصحيحة الشريفة، وفقّهوا شيعتهم على الأحكام الصحيحة المنيفة، وكانوا بذلك القرى الظاهرة، والواسطة في الفيض، والوسيلة في الهداية، والسبب في الرشاد، كما ورد في مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع الحسن البصريّ، حيث قال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾[2]:

«فَنَحْنُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ الله فِيهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ الله عَزَّ وَ جَلَّ، فَمَنْ أَقَرَّ بِفَضْلِنَا حَيْثُ أَمَرَهُمُ الله أَنْ يَأْتُونَا، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾، أَيْ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شِيعَتِهِمْ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾، وَالْقُرَى الظَّاهِرَةُ: الرُّسُلُ وَالنَّقَلَةُ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا، وَفُقَهَاءُ شِيعَتِنَا إِلَى شِيعَتِنَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾، فَالسَّيْرُ مَثَلٌ لِلْعِلْمِ ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾، مَثَلٌ لِمَا يَسِيرُ مِنَ الْعِلْمِ فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ عَنَّا إِلَيْهِمْ فِي الحلالِ وَالحرَامِ، وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ ﴿ءَامِنِينَ﴾ فِيهَا إِذَا أَخَذُوا مِنْ مَعْدِنِهَا الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُ، آمِنِينَ مِنَ الشَّكِّ وَالضَّلَالِ، وَالنَّقَلَةِ مِنَ الحرَامِ إِلَى الحلالِ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا الْعِلْمَ مِمَّنْ وَجَبَ لَهُمُ أَخْذُهُمْ إِيَّاهُ عَنْهُمْ بِالْمَعْرِفَةِ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ الْعِلْمِ مِنْ آدَمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا، ذُرِّيَّةٌ مُصْطَفَاةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَلَمْ يَنْتَهِ الْأَمْرُ إِلَيْكُمْ، بَلْ إِلَيْنَا انْتَهَى، وَنَحْنُ تِلْكَ الذُّرِّيَّةُ الْمُصْطَفَاةُ، لاَ أَنْتَ، وَ لاَ أَشْبَاهُكَ

(١) الاحتجاج: ٢/ ١٥٥.

(٢) سورة سبأ: ١٨.

يَا حَسَنُ»[1].

وهكذا أنجبت مدرسة أهل البيت عليهم السلام جهابذة الفقهاء، وأفذاذ العلماء، على مرّ العصور وكرّ الدهور، بالرغم من الكبت والتضييق والمخاوف، ممّا لاقته الشيعة دون غيرها من الطوائف، وكانت القرون الأربعة الأخيرة في تاريخ الشيعة من ألمع القرون تطوّراً وازدهاراً، وأكثر الحقب رجالاً، وأثرى الأدوار نتاجاً؛ حيث تزدحم فيها فطاحلُ العلماء وأساطينُ الفقهاء، ويزخر فيها التراثُ بالعطاء، ممّا يستوجب علينا تكثيفَ الجهود العلميّة لإحياء ذكرهم، من خلال تقديم الأبحاث والدراسات، وإقامةِ المؤتمراتِ والندواتِ، عن أبرز تلكم الشخصيّات، وأهمّ أولئك العلماء والأعلام.

ومن ألمع نجوم القرن الثالث عشر هو: الفقيهُ المتتبِّع، الأصوليُّ المتضلِّع، العلّامةُ المتبحِّر، والمصنِّفُ المكثر، الإمام السيّد محمّد الطباطبائيّ الحائريّ الملقّب بـ: المجاهد.

وقد جمع اللهُ في شخصيّته الكريمة جوانبَ فذّة، وخصائصَ عِدّة، منها: الحسبُ الوضّاحُ والنسبُ العريقُ، فوالدُهُ الفقيه الأصوليّ السيّد عليّ الطباطبائيّ الحائريّ، صاحب كتاب رياض المسائل، وجدُّهُ لأُمّه مرجع الطائفة في عصره، الوحيد البهبهانيّ، المعروف بـ: أستاذ الكلّ، وزعيم الحوزة العلميّة، وأستاذُهُ وأبو زوجته الفقيه الكبير السيّد محمّد مهدي الطباطبائيّ، الملقّب بـ: بحر العلوم.

وهو يلتقي في نسبه بأُسر علميّةٍ كآل بحر العلوم، وآل الطباطبائيّ البروجرديّ، ويمتّ بالصلةِ إلى أفذاذِ العلماء، وأساطينِ المجتهدين، أمثال

(١) الاحتجاج: ٦٣/٢، عنه: البرهان في تفسير القرآن: ٥١٧/٤.

العلّامة المجلسيّ، صاحبِ بحار الأنوار، والملّا محمّد صالح المازندرانيّ، صاحب كتاب شرح أُصول الكافي.

مضافاً إلى ما تمتّع به من مواهبَ ربّانيّة، وبيئةٍ علميّة، وأجواءَ روحانيّة، مفعَمةً بالعلم والتقوى، صقلتْ شخصيّتَهُ العلميّةَ، وما تميّز به من نُبوغٍ وذكاء مبكّر، حتّى قطعَ أشواطَ التحصيلِ في مدّةٍ وجيزة، فدرسَ في حوزةِ كربلاء المقدّسةِ على الفقيه والده، وفي النجفِ الأشرف العريقةِ على الفقيه السيّد محمّد مهدي بحر العلوم، وفي الكاظميّةِ المقدّسةِ على الفقيه السيّد محسن الأعرجيّ، وألقى عصى الترحال في حوزة إصفهان، فصار من كبارِ أعلامها ومدرِّسيها، وبذلك فقد ارتادَ مختلفَ الحوزاتِ العلميّةِ، وأخذ العلومَ من شتّى المدارسِ الدينيّة.

وقد آلت إليه المرجعيّةُ بعد وفاةِ والدهِ زعيمِ حوزةِ كربلاء المقدّسة، فخلفَهُ في الزعامة، واجتمعَ عليه طلّابُ أبيه، والتفّتْ حولَه أماثلُ الطلبةِ، فتسنّم زعامةَ الحوزةِ العلميّة، وتسلّمَ مهامّ المرجعيّةِ الدينيّة، فكانت تردُه الأسئلةُ الشرعيّة والاستفتاءاتُ الفقهيّة من شتّى أقطارِ الدول الإسلاميّة، وصدرت رسالتُه العمليّة التي سمّاها: إصلاح العمل، والتي تُعدّ من أهمّ الكتب الفتوائيّة.

وقد عَمرت بوجوده الشريفِ حوزةُ كربلاء المقدّسة بالعلم، فتتلمذَ عليه جمهرةٌ كبيرة من فطاحلِ العلماء وكبارِ المجتهدين، ومن أهمّهم: الأصوليّ الكبير السيّدُ إبراهيم القزوينيّ، صاحب كتاب ضوابط الأصول، والسيّد محمّد شفيع الجابلقيّ، صاحب الروضة البهيّة في الإجازة الشفيعيّة، والشيخُ حسين الواعظ التستريّ والدُ الفقيه الشيخ جعفر التستريّ، والشيخُ محمّد صالح البرغانيّ،

صاحبُ موسوعة بحر العرفان في تفسير القرآن، وأخوه الفقيه الشيخ محمّد تقيّ البرغانيّ، والفقيه الأصوليّ الشيخ محمّد شريف المازندرانيّ، الملقّب بشريف العلماء، والإمام الشيخ مرتضى الأنصاريّ المعروف بالشيخ الأعظم، صاحب كتاب المكاسب وكتاب الرسائل.

ومن أهمّ الحوادث التاريخيّة في سيرة السيّد المجاهد هي فتوى الجهاد التي أطلقها لحماية ثغور الشيعة، والذبّ عن أعراضهم وأموالهم، وتُعدّ أهمَّ حدثٍ في حياته الشريفة، ومنعطفاً تاريخيّاً مهمّاً في سيرته، بل في تاريخ الشيعة، وعلى أساسها عُرف ولُقّب بـ: المجاهد.

وقد خلّف سيّدنا المجاهد كمّاً هائلاً من التراث العلميّ، أهمّها موسوعته الفقهيّة الشهيرة التي سمّاها المناهل، وموسوعته الأصوليّة التي سمّاها: مفاتيح الأصول، وغيرها من مصنّفاته المهمّة، نحو: الوسائل الحائريّة، الذي دوّن فيه أهمّ القواعد الأصوليّة والفقهيّة، وكتاب المصباح الباهر في إثبات نبوّة نبيّنا الطاهر صلى الله عليه وآله، وكتاب عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال، ورسالة الأغلاط المشهورة، التي تصدّى فيها لتصحيح الأخطاء العقائديّة التي تدور على الألسنة، من غير تحقيق.

وانطلاقاً من جميع ما تقدّم من الأدوار التاريخيّة المهمّة، والخصائص الفريدة، والجوانب المغفولة في شخصيّة السيّد المجاهد، عزم مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره للدراسات والتحقيق على إقامة مؤتمرٍ علميٍّ دوليّ، عن السيّد محمّد المجاهد الطباطبائيّ؛ إحياءً لذكراه، وتخليداً لجهوده الجبّارة، ورفداً للمكتبة الإسلاميّة، وسدّ الثغرات العلميّة، عِبر تسليط الأضواء على مختلف جوانب حياته، وسيرته،

وشخصيّته العلميّة والجهاديّة.

ومن العجيب أنّ مصنّفات السيّد المجاهد لم تُطبع وتُحقّق طبعاتٍ علميّة حتّى الآن، والأعجب أنّنا لم نجد كتاباً، أو دراسةً، أو أطروحة، أو مقالةً علميّة عن السيّد المجاهد في المكتبة العربيّة، والفارسيّة، والأجنبيّة، سوى النتف التي لا تُغني ولا تُسمن من جوع، بل وجدنا المصادرَ التاريخيّة شحيحةً بالمعلومات عنه، مضافاً إلى اشتمال بعضها على الأخطاء والهفوات، كما وعثرنا على كلماتٍ وأقاويل غير دقيقةٍ بشأن الفتوى الجهاديّة، وهذا ما يؤكّد بوضوح أهمّيّة إقامةِ هذا المؤتمر.

وكان من أهمّ أهداف المؤتمر: تسليطُ الأضواء على الجوانب المغفولة من سيرة السيّدِ المجاهد وحياتِه، وتسليطُ الأضواء على تراثه العلميّ، وإبراز أهمّيّته، وتحقيق أهمّ مصنّفاته ونشرها، ودراسةُ الدور الريادي في الجهاد للسيّد المجاهد، والردُّ على الشبهات المزيّفة والملفّقة التي تنال من حركته الجهاديّة، وبيانُ عمق تراثنا الفقهيّ والأصوليّ وسعته، والاستفادةُ منه في الأبحاث والدراسات المعاصرة.

وقد قامت اللّجنة العلميّة للمؤتمر بخطواتٍ هادفة ودقيقة في سبيل إقامة المؤتمر على أفضل وجهٍ، وأكمل صورة، وتوزّعت نشاطات المؤتمر على المحاور الآتية:

أوّلاً: محور تحقيق التراث

لمّا كان أكثر تراث السيّد المجاهد لم يُطبع ولم يُحقّق، وقد بادرت بعض المراكز العلميّة بالإعلان عن مباشرتهم بتحقيق كتابيه في علم الأصول، وهما: مفاتيح

الأصول والوسائل الحائريّة، عمدنا إلى أهمّ تراثه العلميّ المتبقّي، فتمّ تحقيقه للمؤتمر، وبالإضافة إلى تحقيق كتاب المناهل الذي أخذ مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره على عاتقه تحقيقه ونشره، وقد قطع فيه شوطاً كبيراً، تمّ تحقيق جملةٍ من مصنّفات السيّد المجاهد، وهي ما يأتي:

١. المصباح الباهر في إثبات نبوّة نبيّنا الطاهر صلى الله عليه وآله، وقد تصدّى فيه للردّ على المسيحيّة، وإثبات خاتميّة الإسلام، صنّفه في الردّ على البادريّ وكتابه في ردّ الإسلام.

٢. المقلاد أو حجّيّة الظنّ، وهو من مصنّفاته الأصوليّة، يُطبع بالتعاون مع مركز تراث كربلاء المقدّسة، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

٣. عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال، وهو مصنَّفه الرجاليّ.

٤. الجهاديّة أو الجهاد العبّاسيّ، وهي رسالته الفقهيّة التي صنّفها في أحكام الجهاد.

وكلّ هذه المصنّفات ممّا يُطبع ويُحقَّق لأوّل مرّة، سوى عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال.

ثانياً: محور الدراسات

تمّ استكتاب عدّة دراسات مستقلّة عن السيّد المجاهد، وقد حاولنا فيها استيفاء مختلف جوانب شخصيّته العلميّة، من خلال الاستكتاب في أهمّ العلوم التي صنّف فيها، من الفقه، والأصول، والرجال، والحديث، وإبراز دوره في

هذه العلوم، وتخصيص دراسات أخرى تبحث في أهمّ الجوانب المغفول عنها من حياة السيّد المجاهد الشخصيّة والعلميّة، وذلك حسب الحاجة العلميّة، وإصدار أهمّ الدراسات والكتب عنه قدس سره، وهي ما يأتي:

١. منهل الوارد في تراجم علماء آل السيّد المجاهد.
٢. السيّد عليّ الطباطبائيّ صاحب الرياض حياته وآثاره.
٣. السيّد المجاهد وكتابه مفاتيح الأصول.
٤. تلامذة السيّد المجاهد.
٥. فهرس مخطوطات مؤلّفات السيّد المجاهد.
٦. دليل وثائق مكتبة آل الحجّة في النجف الأشرف.
٧. شذرات في المنهج الفقهيّ للسيّد المجاهد.
٨. السيّد المجاهد وآراؤه الرجاليّة.
٩. السيّد المجاهد دراسة في المنهج الأصوليّ ومسألة الانسداد.
١٠. قاعدة ترك الاستفصال عند الأصوليّين مع تسليط الأضواء على آراء السيّد المجاهد.
١١. السيّد المجاهد وآراؤه في علم دراية الحديث.

ثالثاً: محور البحوث والمقالات

تنوّعت محاور البحوث والمقالات التي كُتبت في شخصيّة السيّد المجاهد ولاسيّما العلميّة منها بتنوّع العلوم والمعارف، من الفقه والأصول، والعقائد والكلام، وعلوم القرآن والتفسير، وعلوم الحديث والرجال، وعلوم اللغة

العربيّة، والفهارس والببليوغرافيا، والتاريخ، والتراجم.

فقد تـمّ استكتاب أماثل الطلبة والفضلاء في الحوزة العلميّة، وعددٍ من أساتذة الجامعات العراقيّة في الكليّات ذوات الاختصاص، في بحوث ومجالات خاصّة، وقد تنوّعت المشاركات من مختلف الدول، من العراق، وإيران، والسعوديّة، ولبنان، والكويت، وغير ذلك، كذلك تنوّعت البحوث بتنوّع محاور المؤتمر في مختلف العلوم والمعارف.

رابعاً: محور الإعلام

اشتمل هذا المحور على جهود مختلفة، أهمّها إعداد فلم وثائقيّ عن حياة السيّد المجاهد العلميّة والتاريخيّة.

ولا يطيب لنا في الختام إلّا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لكلّ من أسهم وآزر في إقامة هذا المؤتمر العلميّ، ولو بالدعاء، فإنّ من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق عزّ وجل، وفي مقدّمتهم: المرجع الدينيّ الأعلى سماحة السيّد عليّ الحسينيّ السيستانيّ (دام ظلّه الوارف)، الذي واكب السيّد المجاهد في فتوى الجهاد المقدّسة، ولولاها لما تهيّأت لنا الظروف لإقامة نحو هذه المؤتمرات، ونبتهل إلى العليّ القدير أن يُديم ظلّه الشريف.

ونخصّ بالذكر أيضاً: المتولّي الشرعيّ للعتبة العبّاسيّة المقدّسة، سماحة السيّد أحمد الصافي (حفظه الله)، وجميع السادة الأفاضل من المدراء والمسؤولين في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، على مشرّفها آلاف السلام والتحيّة.

والشكر موصولٌ لجميع الجهات المساهمة في إقامة هذا المؤتمر، من المؤسّسات

والمراكز العلميّة، والمكتبات الإسلاميّة، ونخصّ بالذكر منهم:

١. مركز إحياء التراث، التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

٢. مركز تصوير المخطوطات وفهرستها، التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

٣. مركز تراث كربلاء المقدّسة، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

والشكر إلى المشايخ والسادة الأفاضل في اللجان العلميّة، والكوادر الفنّيّة في الأمانة العامّة، والعاملين في مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره، وجميع الأيادي المساهمة في إقامة المؤتمر، ممّن لا يتّسع المقام لذكرهم وعدّهم، فلهم منّا خالص الشكر وفائق التقدير، ونسأل الله العليّ القدير أن يتقّبل منهم ويُثيبهم، ويجزيهم خير جزاء المحسنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

خطاب اللُّغة والدَّلالة في كتاب "مفاتيح الأصول"

للسَّيِّد محمّد الطَّباطبائيّ المعروف بالسَّيِّد المجاهد قدس سره

(ت ١٢٤٢هـ)

قراءة في جدل الأدلَّة وأسسها المعرفيَّة التَّكوينيَّة

أ.د. عِماد جبَّار كاظم داود

جامعة واسط ـ كُلِّيَّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة

الملخص:

يحتوي خطاب الدَّرس الأصوليّ على ثمرة من الإفهام الدَّلاليّ، وتترشَّح مفاصله الموضوعيَّة والإجرائيَّة على جدليَّة أدلّة ومكوِّناتٍ، تؤصِّل لنفسها أبواب تكويناتها الوضعيَّة، ليخرج خطاب الإيجاد من النَّظر وإشكاليّاته في التَّأسيس إلى الممارسة في فلسفة الاعتمال، والشَّاهد القدرةُ على الاستنباط والخروج من رؤية ما، إلى حكم مخصوص بالتَّوصيف، والمدار الأوَّل قيم من الدَّلالة، ومسالك من الاستدلال في جهازٍ مفاهيميّ عامّ تشكِّله شبكة من أنظمة اللُّغة ومستوياتها العقديَّة.

لقد أنشأ آية الله، السَّيِّد محمّد الطباطبائي، المعروف بالسَّيِّد المجاهد "قدس سره" "ت١٢٤٢هـ" في كتابه "مفاتيح الأصول"، ما شأنه إشكاليَّات وقراءات

متراكمة، في خطاب اللُّغة والدَّلالة وسؤالها التَّمهيديّ في الدَّرس الأصوليّ، كأنَّها أقفالٌ، كوَّنت مواقف ومسافات معرفيَّة تحتاج إلى تدبُّر وتأمُّل، وهو أمر يُطلب فيه بالضَّرورة إدارة حلّ، في ميدان البحث، لفضّ نزاع فكريّ، والانتهاء منه إلى أحاديَّة أصل يُعتمد، فكانت "المفاتيح" ساعية كوسائط بين الآراء؛ انتظامَ سلوكها المعرفيّ، تارةً في إثبات قراءة باحتسابها الموضوعيّ؛ لاستقامة أدلّتها، واستواء عودها، وتارةً أخرى في مباحثة ونظر وردّ.

وباتت "مفاتيح الأصول" علامة كبرى، ليس فحسب في إدارة الجدل اللُّغويّ والدَّلاليّ معرفةً، بل قاعدة أصوليَّة متراكبة تؤصِّل المبحث المعقود لأصول تالية في سُلَّم التَّأسيس والتَّكوين، فمن ثنائيّات في مباحث الألفاظ وأقسام الدَّلالة إلى جهاز الإفهام في مقولة الخطاب والإفادة ثُمَّ قواعد يُحتاج إليها في تحليل النُّصوص، وهي أصول/ مفاتيح تشتغل في قراءة نصّ فقاهيّ مرةً، ونظر اجتهاديّ في أخرى.

[**الكلمات المفتاحيّة**: الخطاب، اللُّغة، الدلالة، الأدلِّة اللُّغويَّة، مفاتيح الأصول، الوضع، مباحث الألفاظ، أنواع الدَّلالة، السَّيِّد الطباطائي، السَّيِّد المجاهد].

المقدِّمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاة السلام على سيّدنا محمّد وآله الطَّيّبينَ الطَّاهرين.

وبعدُ،...

تبقى منظومة اللُّغة وخطابها الاستعماليّ - الدَّلاليّ، مبدأً لكلّ مفاتيح الأفكار، حتَّى تآلفت والفكر نظاماً شكّل سلطة لا إمكان لتصوّر تجاوزه، بل الحكمة تقتضي العمل في ضوء منهجيَّات دساتيرها، في شريعة من: دالّ ومدلول، وتحت منظور من القيم الدَّلاليَّة بحسب الأنساق التَّواضعيَّة والعقديَّة، إضطلع بمسؤوليتها النِّظام الخطابيّ نفسه؛ لأغراض كثيرة من أهمّها التَّنظيم الفكريّ، والتَّواصل الإبلاغيّ.

ولم يكن الدَّرس الأصوليّ لينأى بنفسه عن هذه المعطيات المعرفيَّة وما تكوّن باللُّغة من أنظمة البيان النَّصّيّ وما فيها من قضايا الكشف وقوانين التَّحليل والنَّقد، بل لعلَّه شكَّل منها مباحث ترتقى إلى مصافّ تحايثها، وهي كُلِّيّات من مباحث الألفاظ والدَّلالة، صارت بمنزلة التَّكوثر المعرفيّ للغة، فأغنى اللُّغة بأثرائهِ المعرفيّ، وأثرْت هي بدورها بعضاً من أبوابه، فكوَّن منها مشروعيَّة عمل في التَّدليل والممارسة والاستنباط، وصار كلٌّ منهما: اللُّغة والأصول، يتضايف مع الآخر، ويأخذ منه ما يرتضيه منهجاً ومعرفةً في غرض ليس بعيداً عن منطق

التَّنظيم وترتيب سلوك الإنسانيَّة.

ومن حينها والتَّلاحق المعرفيّ والإجرائيّ يتضافر فيهما إلى الآن، كلٌّ منهما يقدِّم لمصيره مفاتيح، يأخذ بها القاصد نظره، ليفتح أبواب معارف شريعة، ويجلي بها معانيَ ومقاصدَ روحيَّة، كانت قد استقرَّت في نصّ خطاب، وتستّرت في مضامينه، ينتظر من يتلقَّى رسالته، ويسبر غور شفرتها؛ لينشرها ضوءاً في سلوك وعمل؛ لهدف غائيّ إنسانيّ.

و"مفاتيح الأصول" كتاب السَّيِّد آية الله محمّد الطباطبائي، المعروف بالسَّيِّد المجاهد[1]، واحد من أهمّ الكتب الأصوليَّة التي لم يحمل في تضاعفيه المباحث

(١) تشير كُتُب التَّراجم إلى عبق من حياة السَّيِّد المجاهد "قدس سره"، معرِّفةً متشرِّفةً، تقول: هو السَّيِّد محمّد بن عليّ بن محمّد الطباطبائي (١١٨٠ - ١٢٤٢ هـ)، المعروف بالسَّيِّد محمّد المجاهد، وصاحب المناهل، من فقهاء الشيعة في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر، ولد في كربلاء، ونشأ في ظلّ أسرة علميّة. هاجر من كربلاء إلى أصفهان، وأقام فيها (١٣) سنة اشتغل خلالها بالتدريس، والتَّأليف، وكان مرجعاً في الفقه والأصول، ورجع بعد وفاة والده إلى كربلاء سنة ١٢٣١هـ فتولَّى فيها منصب الإفتاء والقضاء والزعامة، وكان مرجعاً للشيعة في ذلك الزمان، حتَّى أغار الوهّابيّون على مدينة كربلاء، فهاجر إلى مدينة الكاظميّة. خلال إقامته في الكاظميّة كانت تدور مراسلات بينه وبين الشاه القاجاري فتح عليّ شاه، وكان السيّد المجاهد يكتب له بعض التعليمات وأخيراً تأزّمت الأمور في إيران بسبب وجود الروس، فطلب فتح عليّ شاه من السَّيِّد أن يتخذ موقفاً، فتوجّه السَّيِّد "قدس سره" مع جماعة من العلماء والطلّاب وأهل الصلاح إلى إيران، فلّما دخلها عظّمه أهلها غاية التعظيم، واستقبله الشاه فتح عليّ القاجاري، وأصدر فتوىً بالجهاد ضدّ الروس؛ ولهذا السّبب لقّب بـ(المجاهد). له العديد من المؤلّفات، منها: مفاتيح الأصول، ومناهل الأحكام، والوسائل إلى النجاة، وعمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال. ينظر ترجمته في: روضات الجنّات؛ الأصبهاني: ٧/ ١٤٥، رقم (٢١٤)، وهداية العارفين؛ البغدادي: ٢/ ٣٦٣، وأعيان ←

الأصوليَّة وحيثيّاتها الإجرائيَّة: النَّظريَّة والعمليَّة فحسب، بل كان عبارة عن مفاتيح لموسوعة معارفيَّة، كانت تستند إليها تلك المباحث الأصوليَّة كاللُّغة والدَّلالة، والتَّفسير، والبلاغة، والنَّحو، والصَّرف، والمنطق، والاستدلال، ناهيك بأقوال العلماء، وآرائهم، واتجاهاتهم واختلافاتهم، وما فيها من جدليَّة الأدلَّة والبراهين، تلك التي وَقَفَ منها "تدثُّل" بين تأييد وردّ، أو اعتراض ونقض ومناقشة ونظر، تاركاً المجال للمتلقِّي في حُرِّيَّة الاختيار لما يشاء بحسب القناعات المعرفيَّة والدَّليل السّاند، أو البرهان المُعتمد، وهو الأمر الذي يُظهر سعة قراءته وكثرة اطّلاعه، وشمول إحاطته الموضوعيَّة، فضلاً عن قدرته العلميَّة وذاكرته الطَّويلة والتَّصرُّف في مخزونها المعرفيّ.

ومن أجل هذا التَّصوُّر تكوَّنت إرادة في أن أقفَ على هذه المباحث اللُّغويَّة والدَّلاليَّة في هذا السّفر الكبير: "مفاتيح الأصول"، الذي لم تُقدَّم فيه أيّ دراسةٍ سابقاً، فضلاً عن عدم تحقيقهِ العلميّ مع الأسف، فكان أن خطَر منها في خلدي المتواضع، هذه الأوراق اليسيرة، فشرعت في اقتراح موضوع تصدّرته إشارة،

→

الشيعة؛ محسن الأمين: ٩/ ٤٤٣، وموسوعة طبقات الفقهاء؛ جعفر السبحاني: ١٣/ ٤٩٣، رقم (٤٢٦٥)، و(السَّيِّد محمّد المجاهد الطباطبائي (١١٨٠هـ- ١٢٤٢هـ)، أثره العلميّ والجهاديّ، شيماء ياس خضير العامري: ص: ٢٥). "مجلة تراث كربلاء، السنة: ٧، مج: ٤، العدد: ٣، في ذي الحجة ١٤٣٨هـ/ أيلوم ٢٠١٧م". وبحث: (السَّيِّد محمّد المجاهد الطباطبائي الحائري وتراثه المغمور (الوسائل الحائريّة) أُنموذجاً؛ الشيخ: مسلم الشيخ محمّد جواد الرضائي: ص: ٢٧). "مجلَّة تراث كربلاء، السنة: ٥، مج: ٥، العدد: ١، في شهر جمادى الآخرة، ١٤٣٩هـ/ آذار ٢٠١٨م".

الموسوعة العلميَّة العالميَّة وكي شيعة، أو ويكيبيديا: السَّيِّد محمّد الطباطبائي المجاهد.

كان مفتاحها: خطاب اللُّغة والدَّلالة، قراءة في جدل الأدلّة المؤسِّسة لهذه المباحث المعرفيَّة اللُّغويَّة، التي انتشرت في الكتاب وأبوابه، وجعلته في ضوء منهجيَّة اقتصرت فيها على مباحث من اللُّغة والدَّلالة، تاركاً الأخر منها، لقابل الأيّام في بحوثٍ مستقلّة على سبيل من التَّصوّر والإنجاز، إن شاء الله تعالى.

وجعلتها - أعني هذه المباحث المعقودة في النَّظر - على سبعة سلالم وخاتمة، لكلّ سلَّم منها فيه من العتبات التي يمكن أن تؤطِّر الموضوع للشروع، ثُمَّ الطرح والمناقشة والنَّظر في قراءات السَّيِّد المجاهد "قدس سره" للخطاب اللُّغويّ والدَّلاليّ، مع التَّنبيه، وهو أنَّه عندما أذكر قول السَّيِّد آية الله محمّد الطباطبائيّ "قدس سره"، أترك إحالاته الخاصّة لمصير المنقول فيه إلّا قليلاً؛ لأنَّها كثيرة جدّاً، لا يمكن أن تقف عليها هذه الأوراق اليسيرة، أو تحيط بها هكذا سطور متواضعة، ولهذا اعتمدت قوله نصاً ونصوصه توجيهاً، وهي كثيرة، أمَّا الخاتمة، فقد وضعْت فيها أهمّ النَّتائج والمقترحات، سائلاً المولى عزَّ اسمه تعالى، أن أكونَ قد وُفِّقتُ، ومع الاعتذار إنْ جانبني الصَّواب فيها. وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين.